MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا

سقوط الإنسانية عن منظمة الإغاثة الإسلامية

هوازن خداج

حقوق النشر والطبع ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا.

الملخص التنفيذي:

بين محاولة الإخوان المسلمين الظهور بمظهر حضاري ومنفتح وبين المنهجية الماضوية لهم، تتوالى انقلاباتهم، فستار الانفتاح لا يصمد طويلاً إن كان في دولهم ودعمهم التطرف وأحادية الطائفة، أو في البلدان الأوروبية، والمثال الأبرز على زيف ادعائهم منظمة الإغاثة الإسلامية التي أسسها هاني البنا في بريطانيا في العام ١٩٨٤، وكانت أول جمعية تحصل على تمويل حكومي بريطاني، نتيجة نشاطها الإنساني، ولكن المراجعات الأخيرة لنشاطها أظهرت قيامها بالترويج للدعاة المتطرفين، وأصدر منتدى الشرق الأوسط «وهو مركز أبحاث في فيلادلفيا» تقريرًا يبحث بشكل مكثف عن أنشطة منظمة الإغاثة الإسلامية: فروعها، وعلاقاتها بجماعة الإخوان المسلمين، وعلاقاتها بحماس، وتطرف مسؤوليها، وترويجها للدعاة الذين يحرضون على الكراهية ضد كل من المسلمين المعتدلين وغير المسلمين. وخطاب أعضائها يحض على تكفير الآخر وثقافة الكراهية

تحاول هذه الدراسة بيان ما سبق من خلال المحاور التالية:

- **مقدمة: الحرية الدينية**
- **دول العالم الإسلامي: الأقليات بين الدين والسياسة**
- **تنظيم الدولة الإسلامية والأقليات (الإيزيديون مثالاً)**
- **الإخوان المسلمون التأسيس ومحك الأقليات**
- **الإخوان المسلمون وستار الانفتاح**
- **الإخوان المسلمون، الإغاثة الإنسانية (الشعار الزائف)**
- **خاتمة**

مقدمة: الحرية الدينية

ضمن جملة الإشكاليات التي تأسست بسبب الدين في الإمبراطوريات القديمة، تطورت الأفكار والقوانين للوصول إلى ضمان حقّوق البشر وحريتهم الدينية الإيمانية، وكان حملتها لاهوتيون، فمن مارتن لوثر وتجاوزه روما ودعوته إلى الحرية الدينية في رسالة مفتوحة إلى النبلاء المسيحيين» (١٥٢٠)، واعترافه بحقّ كل مؤمن للحكم على نفسه واعتراضه على الإكراه في اعتناق المعتقدات الدينية، إلى اللاهوتي الفرنسي سيباستيان كاستيليو وانتقاده حكم القتل الذي أصدره كالفن ضد سيرفيتوس في العام (١٥٥٣)[١]، قدم اللاهوتيون قبل غيرهم من المفكرين والفلاسفة مثل جون لوك، وسبينوزا، وبيار بايل، وفولتير، تأسيساً لمفهوم الحرية الدينية وإمكانية عقلنة الدين، ومساراً للخروج عن فرض الامتثال الديني واضطهاد كل معارضة دينية مختلفة.[٢] إلا أن هذا المسار لم يترسخ إلا عقب حروب كارثية وبفضل حجج واستجابة الفلاسفة والمنظرون السياسيون، الذين جادلوا حول الاعتقاد الديني ومزاعم الحقّ الديني التي تؤدي إلى اضطهاد الآخرين، وأن الإيمان الحقّيقي لا يقوم على الإكراه وتقييد حرية الأقليات، ليصبح جزءاً لا يتجزأ من المؤسسات السياسية الغربية عقب الثورة الأمريكية والفرنسية.

بعد أن شكلت جملة المتغيرات دافعاً للخروج عن ماضي الإمبراطوريات إلى حاضر الدول، وأسست بشكل ما لحالة التفاوت الحداثي بين الشرق والغرب، فتاريخ الإمبراطوريات الذي تم التخلص منه غرباً مازال يمثل حنيناً لبعض أفراد دول العالم الإسلامي، ولغالبية المنظمات الدينية الإسلامية، والأصوليات الدينية الإسلامية التي تمثل تجسيداً لنزعة ماضوية لم تدفعها حوادث التحولات الاجتماعية والسياسية بالعالم ككل وقيام الدول واختلاف أسس الانتظام للتخلي عن ماضيها الذي يختلط فيه الحنين للماضي مع معيار القوة الذي تنشده، وهذا يُعززه وجود دول لم تحسم أمرها باتجاه الحداثة وإقرار الحقّوق للجميع، لتصنع خلطة الدين والدولة، ويغذيه جمود الفكر الديني عامة وعدم تصوره للرب والكون وحياة البشر بطريقة عقلية.

دول العالم الإسلامي: الأقليات بين الدين والسياسة

ما أنجزه الغرب قبل قرون وما تضمنته الشرعة الدولية لحقّوق الإنسان لم يشكل قانوناً إنسانياً في العالم ككل، فالدول العربية التي صدقت عليه كميثاق لا تزال تتملص من تطبقيه وتعميمه بشكل رسمي، ومعظم الدول العربية تجعل من الدين عقيدة رسمية للمجتمع والدولة معاً، علماً أن غالبيتها تعيش تنوعاً أثنولوجياً ودينياً؛ فوجود أقليات أخرى، لم يمنع السلطة السياسية من توظيف الحقّل الديني والتحكّم فيه خِدمة لأهدافِها وأغراضها السياسية، عبر الانحياز إلى تيار ديني إيديولوجي معين تجاه تيّارات دينية أخرى، فهذه الدول حتى من ادعت العلمانية منها كمصر وسوريا والعراق، ما تزال عاجزة عن تأدية دورها دون الاعتماد على المؤسسات الدينية للقيام بالمهام الإدارية وتوفير المنافع العامة، فهذه «المؤسسات الدينية مثل الكنائس والأديرة في أوروبا، والمساجد والأوقاف في البلدان الإسلامية» كانت فاعلاً أساسياً في أزمنة الإمبراطوريات القديمة حيث وفرت التعليم وأغاثت المحتاجين وغيرها من المصالح الأخرى،[٣] لكن التخلي عنها في بناء الدول العربية الإسلامية يمثل أمراً شائكاً بالنسبة للسلطة السياسية والدينية معاً، مثله مثل الإقرار بحقّوق الأقليات الدينية والإثنية.

وبالعموم الدول العربية الإسلامية لم تحسم الأمور باتجاه بناء دول تُقرّ حقّوق الإنسان واحترام معتقدات البشر، فمسألة الانتماء الديني بقيت جزءاً من بناء الدول العربية والإسلامية بوصفه قيمة لها أثرها على استقرار النسيج المجتمعي وعلى المشهد السياسي الاجتماعي التي يُعبّر عنها في نشاط التجمعات والجمعيات الدينية المتطرفة كالإخوان المسلمين. وعليه بقي وضع الأقليات الدينيَّة في بعضِ الدول، مأزوم ويجري تعريضها الدائم والمستمر للإقصاء من قبل الدول وللاضطهاد من قبل الدولة والمجتمع معاً. ليبقى الآخر المختلف دينياً متردداً في التعبير عن حقّه في الحرية الدينية وحقّه في معتقده أي كان ومهما كان، في حالة السلم، ومعرضاً لأشد العقوبات بسبب معتقده، في حالة

---

١ ميغيل سيرفيتوس

٢ لم تكن الافكار كافية : لوك وسبينوزا وفولتير . مارك كوياما. ترجمة: عمر بسيوني

٣ المرجع السابق

الأزمات.

تنظيم الدولة الإسلامية والأقليات (الإيزيديون مثالاً)

رغم العديد من المفارقات بين ما يُقرّه الدين الإسلامي من التسامح مع المختلف دينياً، وبين ما تجري ممارسته على أرض الواقع في بعض الدول الإسلامية، أتت المفارقة الأكبر مع حالة الفوضى التي عمّت بلدان الشرق الأوسط بعد الربيع العربي، حيث أظهرت النماذج الأكثر تطرفاً وتشدداً بالنسبة للمسلمين، والتعامل مع الآخر.

وكانت تجربة تنظيم داعش، وبناء دولته على في العراق وسوريا، واقعاً لا يمكن إغفاله بكافة حيثياته، وبالأخص تعاملها مع المختلفين دينياً، فالانتظام وفقاً للدين يستوجب استعادة الركائز القانونية والتشريعية المستمدّة من الأديان على قواعد الهوية، من خلال الاختلاف في معاملة الأفراد وفقاً لوضعهم القانوني أو دينهم، حيث كانت قواعد الهوية المعيار السائد لضمان تماسك النظام السياسي بواسطة الدين في الإمبراطوريات القديمة، وكذلك في مخلفاتها الفكرية التي حملتها التنظيمات المتشددة، وأجيالها المختلفة وصولاً لداعش، التي لجأت لتطبيق كافة الأنظمة الشرعية مثل: نظام العقوبات أو ما يسمى الحدود المقررة في الشريعة الإسلامية، وهي: (حدّ السرقة، والزنا، والقذف، وشرب المسكر، والبغي، والردّة، والحرابة)، باعتبار أن العقوبة المقررة في تلك الجرائم هي حقّ لله، وتستوجبها المصلحة العامة، ولا يحق للفرد المجني، ولا الجماعة المنفذة للعقوبة تغييرها.[٤] وكذلك فرض الجزية على المختلفين دينياً، وبحسب العديد من كتب التراث تمثل الجزية ضريبة يدفعها غير المسلمين وهم أذلاء للدولة الإسلامية، لأجل حمايتهم.[٥]

ومع تقدم التاريخ والتطورات، باتت تتبلور مشكلة النصوص الدينية ومثالب التراكمات التاريخية، لتقدم الصورة الأشد فجاجة بالتنكيل واستباحة وجود المختلفين ديناً، خصوصاً من لم يُنصفهم نصّ ديني صريح كما غيرهم (اليهود والمسيحيين والصابئة)، مثل الإيزيديين، فهؤلاء لم تنقذهم آيات التسامح بعموميتها، أو وجود الدين كناظم لاجتماع البشر وتعارفهم، فالأصوليات الدينية تُقرّ بالقواعد والتشريع وتستخدم من الآيات ما يخدم وجودها.

وعليه أخذت داعش من القرآن آيات متجزئة تخدم فكرة الجهاد وأخرى لتقرير مصير الآخر المختلف، وناصب هذا التنظيم الأقلية الإيزيدية العداء، واعتبر أفرادها «كفاراً»، وجرت على يد داعش استعادة تاريخ الرِقّ والعبودية والسبي،[٦] الذي لم يحرّمه الدين الإسلامي، بل قوننه، في إباحة امتلاك العبيد والإماء عن طريق الشراء أو السبي في الحروب أو كسداد للديون، وأهمل العلماء والفقهاء معالجة أسباب إباحة العبودية، وتصنيفها على أنها حصراً تخص ذلك التاريخ، والنهي عن اللجوء إليها، بل رسخوها باعتبار الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

وبهذا يمكن رد ما مورس ضد الإيزيديات استند على ما أباحه الدين في التعامل مع النساء في حالة سبيهن بالحروب، « والمحصّنات من النساء إلا ما ملكت إيمانكم» (النساء، ٢٤). كما يوصي القرآن، من لم يستطع مادياً أن يتزوج الحرائر، بزواج الإماء: « ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصّنات المؤمنات فما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات « (النساء ٢٥).

فالصدمة التي سببها تنظيم داعش فيما تعرضت له الإيزيديات يومها، والاستنكار الشديد من قبل جُلّ المسلمين لأفعال التنظيم، وزيادة الجدل بأن داعش صناعة غربية « أمريكية»[٧] لم تكفر داعش على ممارساتها اللانسانية واللاخلاقية بحق الإيزيديات من قبل الهيئات الدينية الإسلامية عامة، ولم يجر تجريمها صراحة على الرغم من وجود العديد من الآيات على عتق العبيد والإماء وعلى تحرير الرِقاب ككفارة.

---

٤ ٣ عقوبات في الإسلام تستوجب القتل بعد إقرارها من الحاكم: الحدود والتعزير عقوبتان لا عفو فيهما، الشرق الاوسط

٥ ما هو مفهوم «الجزية» في القرآن؟ موقع الحرة، ٢٩ يناير ٢٠٢١

٦ من قبضة داعش إلى راوية لمعاناة الأيزيديات -إيمان عباس التي كانت سبية لدى التنظيم الإرهابي. اندبندنت عربية . الاثنين ٢٥ نوفمبر ٢٠١٩

٧ داعش صناعة أميركية! انتدبندنت، الجمعة ٩ أغسطس ٢٠١٩

الأمر الذي يظهر أزمة النص الديني والتفكير فيه وتدبره، بما يتناسب مع مصلحة الدين والإنسان. فعدم تجريم وتحريم هذه الممارسات سيجعل من تكرارها أمرًا واردًا. خصوصاً أن شرعة حقّوق الإنسان، لم يكن لها أي أثر يذكر لدى المنتسبين للتنظيم سواء أكانوا من البلدان العربية الإسلامية، أو البلدان الغربية التي تعتبرها أساساً في بنيان الدول، والأكثر من هذا فإن الإيزيديون ما يزالون يخشون مستقبلاً بلا عدالة.[٨]

وإن كان تنظيم داعش أظهر التعامل مع الأقليات بطريقته الأكثر سفوراً، لكنه لم يكن الوحيد، فالفكر الذي حمله داعش له مصدره ومشرّعيه، كما كافة التنظيمات التي تعتبر أجيال للإخوان المسلمين. فرحم الإخوان كانت ولّادة، فهي التي أنجبت «القاعدة»، ومنها خرج «داعش» وغيره من التنظيمات الإرهابية المحلية والإقليمية في المنطقة العربية وفي أفريقيا وباقي دول العالم.[٩]

الإخوان المسلمون التأسيس ومحك الأقليات

في العام ١٩٢٨ تم تأسيس جماعة الإخوان المسلمين على يد حسن البنا، إثر نشاط الجمعيات الخيرية الدينية برعاية دول الاستعمار، ولكنها لم تكن كغيرها من الجمعيات التي أُسست حينها مثل: الجمعية الشرعية، وأنصار السُنّة، والشبان المسلمين، والشبان اليهود، والتبليغ والدعوة والمشاريع الخيرية في لبنان، فغالبية تلك الجمعيات أُنشأت لإرضاء مجتمع ديني يرى أن التدين وسيلته الأولى لفعل الخير، وأن تصدّي الاحتلال لهذه الجمعيات كان يتوجب فيه على المجتمع أن يقاوم ذلك بكل ما أوتي من قوة، فجميع تلك الجمعيات لم يعد لها أثر ما عدا الإخوان المسلمين، الذين شكلوا فروعاً في الكويت وسوريا، ولاقوا تأييداً واسعاً واستقطبوا الكثير من المؤيدين، فقد كانوا في بدايتهم ممثلين للإسلام المستنير شعبياً ونخبوياً، وموقفهم من الأقليات مثل المسيحيين كان معتدلاً، فالسلطات السياسية حينها كانت تتخذ موقف عقلاني من الأقليات، إضافة لعلاقة الإخوان المسلمون مع بريطانيا. حيث تبرعت هذه الأخيرة بمبلغ ٥٠٠ جنيه لمؤسس جماعة الإخوان المسلمين – حسن البنا" – بعد وقت قصير من تأسيس الجماعة سنة ١٩٢٨، وبحلول سنة ١٩٤١، أصبحت هذه الجماعة قوية لدرجة أن بريطانيا بدأت تقدم لها مساعدات مالية مقابل عدم مهاجمة مصالحها. [١٠]

وبالعموم أن كل مخالفيهم وناقديهم لم ينتقدوهم في حياة البنا بل بعد وفاته، ولم يسلّطوا الضوء على الخلل العلمي الأكبر الذي تعاني منه الجماعة في (التقليد والجمود)، وعدم تصورهم للرب والكون والأشياء بطريقة عقلية، وإن ظهر بينهم في فترتهم الأولى من يدعو إلى العقلانية الدينية، فمنهجية جماعة الإخوان المسلمين تقوم على إحياء فكر أبو حامد الغزالي الذي يرى ضرورة التوفيق بين الدين والعقل بالكلام، والتأكيد على ضرورة تطبيق الشريعة.[١١] وفقاً للمرجعية الفكرية التي يستندون إليها والممتدة من ابن تيمية إلى أبو الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب، تقوم على أطروحات رئيسية فيما يتعلق بالسلطة السياسية وممارستها عبر القرآن والشريعة، كنظام رباني يجب أن يخضع له المسلمون، وترعاه الخلافة التي تظل هدفاً استراتيجياً.[١٢] وجراء ذلك، فهم لن يخرجوا في تفكيرهم تجاه الأقليات الدينية من دائرة الماضي، وتقديم بنيان شرعي يحاكي عصور الإمبراطورية الإسلامية وانتظام الأقليات الدينية فيها وإن كان خالياً من دفع الجزية. فبقدر اعتماد الدين مصدراً للشرعية السياسية ستتولد قوانين تمييزية تقوم على الدين.

الإخوان المسلمون وستار الانفتاح

خلال فترة الربيع العربي، تبنّى الإخوان المسلمون سلوكاً أكثر طمأنينة وتسامحاً وظهروا أكثر عزماً على التخلص من سلوك الإسلام الذي يطوره الاتجاه الراديكالي التكفيري، ويحاولون على طريقتهم، أن ينفتحوا ويتقبلوا المشاركة في اللعبة الديمقراطية، بهدف إدماج حركتهم في مؤسسات الدول

٨ ضحايا «الدولة الإسلامية» يبحثون عن العدالة

٩ «الإخوان والقاعدة».. رؤى وأهداف مشتركة، العين الاخبارية، الجمعة ٢٣/٧/٢٠٢١

١٠ "الجهاديون" في بريطانيا ـ خارطة الجماعات المتطرفة - المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب و الإستخبارات

١١ ديكارت في مواجهة الإخوان، الحوار المتمدن، ٢٠١٩ / ٥ / ١١

١٢ Printemps arabe : le poids des Frères musulmans – leur vision de l'Etat et de la finance islamiques

العلمانية، وإن تهمة الكفر قد زالت من معجمهم. وحسب العقيدة الجديدة، فإن الاستيلاء على السلطة من قبل الإخوان المسلمين، يجب أن تتم على مراحل ودون عنف، الأمر الذي سمح بتقدمهم في البرلمان المصري كما مع حماس في فلسطين وحزب التنمية والعدالة في المغرب وحتى النهضة في تونس، بوصفها تجسيدات للإخوان المسلمين، في هذا المنطق المستوحى من أنصار الثيو-ديمقراطية الجديدة (أو السلطة الدينية الديمقراطية، حسب المودودي).[١٣]

لكن محاولة الانفتاح هذه لا تخلو من أشكال الطائفية الأحادية، التي لا تقدم للأقليات خصوصاً في الدول المتنوعة دينياً وطائفياً وإثنياً أي حالة من الاطمئنان، بل تحول الدين إلى جزء من توتر المجتمعات في العديد من الدول العربية، ومنها سوريا التي لا يُخفى نشاط الإخوان المسلمون فيها وسيطرتهم على ائتلاف المعارضة، وظهورهم كجزء من الصراع مع غيرهم من التنظيمات المقاتلة تحت اسم الدين الإسلامي التي دفعت الأقليات الأخرى والكثيرة في سوريا للتقوقع عند حدود طوائفها.

ولا يختلف الحال كثيراً سواء أكان نشاط تنظيم الإخوان المسلمون داخل بلدان عربية إسلامية أم أوروبية، مهما كان لبوسها ثقافي أم خيري، فهو تيار دعوي، ومسألة الهوية هي قضية مفصلية ومغذية للصراع مع الآخر، ووفقاً للورقة البحثية التي نشرها مركز ترينذز للبحوث والاستشارات، فقد نشطت جماعات الإسلام السياسي في الدول الأوروبية منذ ستينيات القرن العشرين، ومن بينها جماعة الإخوان المسلمين التي توسعت باتباع استراتيجية طويلة المدى وضعها مؤسس الحركة حسن البنّا، ليكون «الإخوان» أول من أنشأ مراكز ثقافية إسلامية ومساجد في أوروبا، فضلًا عن بناء المجتمعات المتنوعة الاتجاهات من (النساء والطلاب والعاملين، إلخ)، مكرّسين خدماتهم لمساعدة المسلمين في البلدان المضيفة لهم، وتشكيل قاعدة جماهيرية داعمة لبرامج الجماعة وأنشطتها في داخل أوروبا وخارجها. حيث تتعاون مع «الإخوان» في ألمانيا وسوريا، بينما تعمل منظمات «الإخوان» في بريطانيا مع قواعدها في العراق ومصر، وترتبط المنظمات الإسلامية في فرنسا ارتباطاً مباشراً بالأحزاب السياسية في الجزائر وتونس.[١٤]

وقد شكل العمل الدعوي بداية لتشكيل تنظيم هرمي محدد البنية، ومكّنهم من تأسيس ٥٠٠ مؤسسة في ٢٨ بلداً أوروبياً، وذلك عن طريق اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، واختلف نشاطهم تبعاً للفترات الزمنية التي تعيشها بلدانهم، مثلاً في ثمانينات القرن العشرين استعانوا بالمناخ السياسي الأوروبي للاحتجاج على الأنظمة العربية والنظام التركي، التي يعتبرونها أنظمة ديكتاتورية، وكذلك نقد الأنظمة الثقافية الأوروبية والأخلاقية الغربية التي تعاني منها المجتمعات المسلمة، وإعادة أسلمتها. وفي المراحل اللاحقّة تم التركيز على إدراج الممارسة الإسلامية في سياق غير إسلامي، وإيجاد تكيفاتهم كأقليات والتركيز على نظرية المواطنة الإسلامية في الدول الأوروبية. وبذلك اقتصر تحركهم على الفترات التي يشعرون فيها بتهديد الهوية الإسلامية، مثل قضية نشر الرسوم، أو قضية الحجاب، في بعض الدول الأوروبية، التي صارت تعتبر دار العهد وليس دار الحرب، ومحاولة الظهور كخط مختلف عن التيارات الدينية المتشددة، وكشريك للحكومات الأوروبية في محاربة التطرف. [١٥]

لكن كافة المساعي لإعادة تعريف الوضع الإسلامي من خلال السياق الغربي لم تؤدِ إلى تطوير عقائدي، ولم تجعلهم قادرين على التلفيق بشكل مستمر. حيث أدركت بعض الدوائر الأوروبية أخطار الإخوان المسلمون، وعبّرت هذه الدوائر عن قلقها من نشاط الجماعة، وما يمكن أن يترتب عليه من مخاطر تهدد هذه الدول، حيث تقول لورديس فيدال، رئيسة وحدة دراسات الشرق الأوسط في المعهد الأوروبي للبحر الأبيض المتوسط: إن «**مشكلتنا مع الإخوان المسلمين لا تكمن في ممارسة العنف، فهم لا يفعلون ذلك في أوروبا مثلما يحدث في بعض دول الشرق الأوسط، لكن خطورتهم هنا تكمن في عملهم الدائم على خلق بيئة أيديولوجية ودينية تتبنى مثل هذه الأفكار المتشددة.**[١٦] الأمر الذي يضعهم في دائرة الشبهة، والنمو المقلق في معظم البلدان الأوروبية، دون اتخاذ إجراءات

---

١٣ Printemps arabe : le poids des Frères musulmans – leur vision de l'Etat et de la finance islamiques

١٤ ورقة بحثية تكشف أدوات الإخوان لاختراق أوروبا

١٥ سمير أمغار، الاخوان المسلمون في أوروبا:دراسة تحليلية لتنظيم إسلامي، ترجمة دينا محمد، مكتبة الاسكندرية. مرصد ١٠ من كراسات علمية محكمة. ص:١٤، ٢١

١٦ ورقة بحثية تكشف أدوات الإخوان لاختراق أوروبا

صارمة للحدّ من نشاطهم، خصوصاً أن النشاط العام هو نشاط جمعياتي، لا يُخالف القوانين المعتمدة في أوروبا، مع وضعهم تحت الرقابة والتدابير الوقائية والاستباقية في معظم الدول الأوروبية إثر العمليات الإرهابية التي هزّت أوروبا.

إلا أن المراجعات لتاريخ الإخوان في بعض الدول الأوروبية، دفعت إلى اعتبارهم جماعة داعمة للإرهاب، مثل تصريح الحكومة البريطانية عقب الخروج من الاتحاد الأوروبي والمراجعة الشاملة لتحديد أولويات البلاد السياسية،[١٧] ومع هذا ماتزال لندن ملاذاً آمناً للتنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين، ولقياديهم، الذين يحملون الجنسية البريطانية، ومايزال الأخوان على نهجهم وأجندتهم السرية لخدمة مصالحهم، حسب تصريح حازم سعيد الباحث في المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والإستخبارات.[١٨] وكذلك قامت الحكومة الفرنسية في عام ٢٠١٨ بتجميد أرصدة القيادي الإخواني هاني رمضان شقيق طارق رمضان، في إطار محاربة تمويل الإرهاب. وباتت أموال شقيقه طارق رمضان تحت الرقابة، وفقاً لمذكرة لوكالة "تراكفان" الرسمية التابعة لوزارة الاقتصاد والمالية في فرنسا والمتخصصة بمكافحة الاحتيال المالي وتبييض الأموال وتمويل الإرهاب في فرنسا، كان طارق رمضان يتلقى نحو (٣٥) ألف يورو شهريًا من قطر، مقابل خدماته كمستشار لمؤسسة قطر، ناهيك عن فضح الجانب المظلم لشخصية طارق رمضان.[١٩]

الإخوان المسلمون، الإغاثة الإنسانية (الشعار الزائف)

بين محاولة الإخوان المسلمون الظهور بمظهر حضاري ومنفتح وبين المنهجية الماضوية لهم تتوالى انقلاباتهم، فستار الانفتاح لا يصمد طويلاً إن كان في دولهم ودعمهم التطرف وأحادية الطائفة، أو في البلدان الأوروبية، والمثال الأبرز على زيف ادعائهم منظمة الإغاثة الإسلامية التي أسسها هاني البنا في بريطانيا فى العام ١٩٨٤، وكانت أول جمعية تحصل على تمويل حكومي بريطاني، نتيجة نشاطها الإنساني، ولكن المراجعات الأخيرة لنشاطها أظهرت قيامها بالترويج للدعاة المتطرفين، وأصدر منتدى الشرق الأوسط- وهو مركز أبحاث في فيلادلفيا - تقريرًا يبحث بشكل مكثف عن أنشطة منظمة الإغاثة الإسلامية: فروعها، وعلاقاتها بجماعة الإخوان المسلمين، وعلاقاتها بحماس، وتطرف مسؤوليها، وترويجها للدعاة الذين يحرضون على الكراهية ضد كل من المسلمين المعتدلين وغير المسلمين. وأكدت صحيفة "التايمز" البريطانية في ٢٢ أغسطس ٢٠٢٠، أن مجلس أمناء هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في بريطانيا، قدم استقالة جماعية، بعد استخدام أعضائه تعبيرات عنصرية، وأشارت صحيفة "التايمز" إلى أن هذه هي المرة الثانية فى شهر واحد التى تواجه فيها منظمة الإغاثة العالمية تدقيقاً على خلفية تعليقات الفيسبوك.[٢٠]

إلا أنه لم يمض وقت حتى أدلى هاني البنا مدير ومؤسس منظمة الإغاثة الإسلامية بتصريحاته حول الإيزيديين ووصفهم بأنهم «عبدة الشيطان» خلال محاضرة له في سبتمبر الماضي، وتم نشر الفيديو على «تويتر»، ليُظهر السلوك الإخواني وتطرفه الفكري والمنهجي.

فهذا التعليق الذي صدم الإيزيديين الذين واجهوا الإبادة الجماعية على يد تنظيم «داعش» الإرهابي، جاء من قبل مسؤول في منظمة إغاثة إنسانية، جعلها تلقى الكثير من الشجب والاستنكار إن من قبل الإيزيديين كتصريح أحمد خديدة برجس، نائب المدير التنفيذي لجمعية المساعدة الإيزيدية الخيرية «يزدا»، وتصريح المدير التنفيذي لمركز أبحاث مكافحة التطرف، ديفيد إبسن، ما قاله البنا بأنه «يستحقّ الشجب»، واعتبر الباحث في جمعية «هنري جاكسون»، الدكتور رقيب إحسان، تصريحات البنا بأنها شبيهة بفكر وآراء «داعش»، مشيراً إلى أنها كشفت ما وصفه بـ«الفضائح والفساد» المقترن بشخصيات بارزة في منظمة الإغاثة الإسلامية العالمية. وقد كشف تقرير برلماني ألماني نهاية العام الماضي علاقة تنظيم الإخوان بتمويل المنظمات المتطرفة عن طريق استغلال أموال التبرعات، وبحسب ما أوردت وكالة

---

١٧ "الجهاديون" في بريطانيا ـ خارطة الجماعات المتطرفة - المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب و الإستخبارات

١٨ الإخوان المسلمون في بريطانيا ـ ازدواجية في التعامل وتراخي الحكومة، بقلم حازم سعيد، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب و الاستخبارات

١٩ الإخوان المسلمون في أوروبا ـ القيادات المعاصرة للجماعة - المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والإستخبارات ـ المانيا و هولندا.

٢٠ منظمة الإغاثة الإسلامية في بريطانيا ـ تأجيج العنصرية وتعزيز للتطرف المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والإستخبارات-ألمانيا و هولندا

الأنباء الألمانية، أن «منظمة الإغاثة الإسلامية» يمتدّ نشاطها إلى حوالي ٤٠ دولة حول العالم، وتؤكد تقارير دولية أنها من أبرز روافد تمويل الإخوان في العالم.[٢١]

ومع توالي الانتقادات واجهت منظمة الإغاثة الإسلامية العالمية في العديد من الدول الأوروبية انتقادات لاذعة ودعوات لتعليق تمويلها ووقف أنشطتها، فقد جمّدت مجموعة تحالف المعونة الألمانية «أكتيون دويتشلاند هيلفت» عضوية المنظمة حتى كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٢١,[٢٢] ومؤخراً قدم سياسيون ألمان، بلاغات ضد منظمة الإغاثة الإسلامية، مؤكدين تعاونها التام مع جماعة الإخوان، ومطالبين بوقف نشاطها داخل البلاد، وبحسب صحيفة «برلينر مورجن بوست» الألمانية، طالب السياسيون الألمان بإجابات عاجلة حول تمويل الحكومة لجمعية الإغاثة الإسلامية الخيرية وصلاتها بجماعة الإخوان، وحاولت منظمة الإغاثة الإسلامية، خلال الفترة الماضية تحسين صورتها، إذ عملت بحسب صحيفة «دي فيلت»، على تكثيف العمل الخيري وقامت بالعديد من الأنشطة الاجتماعية في ألمانيا، إلا أن كل ذلك لم يشفع لها.[٢٣]

ورغم أن اللعبة الماهرة التي يلعبها الإخوان المسلمون فقدت جدواها، أمام العديد من السقطات التي طالت أعلامهم في أوروبا، ولكنها لم تؤد إلى الآن اتخاذهم خطاً بديلاً عن السقوط، فمازال فكرهم يُمثل استقطاباً للكثير من شباب العالم الإسلامي، نتيجة عدم وجود تيار تنويري يساهم في طرح البدائل ويلقى قبولاً.

خاتمة

قبل قرون عديدة ساهم اللاهوتيون المسيحيون بعقلنة الفكر الديني ومنع اعتداءه على إيمان الأفراد، ليرسّخوا قبل غيرهم من المفكرين والفلاسفة ومن داخل الدين فكراً تسامحياً قائماً على حرية الضمير والفكر، ومسارًا مؤسِّساً للحرية الدينية وسابقاً بحججه ما قدمه جون لوك، وسبينوزا، وبيار بايل، وغيرهم؛ فالحرية الدينية برمزيتها الإنسانية، لم تتأسس في الغرب كاستجابة للحروب الدينية الطاحنة والوحشية فقط، بل لأن الفكر الديني ظهر باستمرار من قبل المتعصبين كمحرّض على العنف والاعتداء المادي والمعنوي معاً، ورغم تقدم الأفكار وتحول الحرية الدينية لقيمة إنسانية مطلقة، مازالت الجماعات الدينية المتطرفة التي انتشرت تحت اسم الإسلام، تشدّ زناد العنف والتكفير للآخرين، وتزداد الكارثة حين تلجأ منظمة إغاثة إنسانية لتكفير الآخرين. فإن فسد الملح بماذا يملح؟

MENA RESEARCH CENTER
مركز أبحاث ودراسات مينا

٢١ بعد الإساءة للإيزيديين.. موجة سخط جديدة تضرب الإخوان في أوروبا.. ما القصة؟ حفريات

٢٢ فضيحة جديدة لمنظمة «إخوانية».. تصريحات مسيئة للإيزيديين، سكاي نيوز عربية ١٨ I نوفمبر ٢٠٢٠

٢٣ لعلاقتها بالإخوان.. سياسيون ألمان يطالبون بوقف نشاط منظمة الإغاثة الإسلامية، المرجع، ١٦/يناير/٢٠٢١